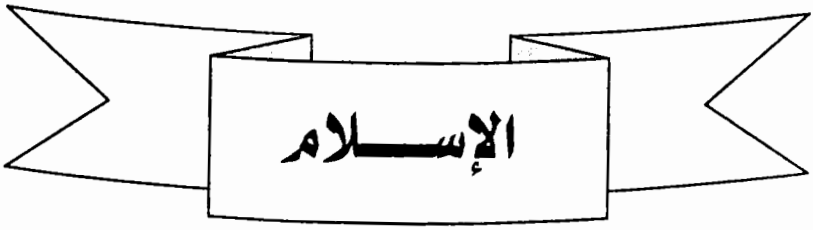

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ
وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا
جَاءَهُمُ العِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾

[آل عمران: ١٩]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله

وبـعـد..

الإسلام معنى عظيم لم يقدره الناس حق قدره، ولكثرة ادعاء الناس له، وتسميتهم به، فقد ابتذلوا معناه وضيعوه، فالإسلام الحق لا يثبت لشخص ما لمجرد أن اسمه محمد أو أحمد أو محمود أو علي..إلخ، ولا يثبت لامرأة لمجرد أن اسمها فاطمة أو زينب أو عائشة أو خديجة..إلخ.

وكذلك لا يثبت لأحد لمجرد ادعائه أنه يعرف الله ويؤمن به ويؤمن بمحمد ﷺ ويشهد الشهادتين إذا لم يكن لذلك الادعاء وتلك الشهادة حقيقة باطنة في القلب، وحقيقة ظاهرة في الجوارح.

والحق أن المسلمين اليوم قد ابتعدوا كثيرًا عن معنى الإسلام وحقيقته، ابتعدوا عن ذلك بسلوكهم المخالف والمناقض لهذا المعنى العظيم السامي.

وإذا كان للإسلام معالم وأركان أساسية يعرفه الناس بها مثل: تحقيق التوحيد، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً، إذا كانت هذه هي معالم الإسلام وأركانه الأساسية؛ فإن هذه المعالم والأركان قد اهتزت وسقطت عند كثير من المسلمين في زماننا هذا.

فأصبحنا نجد من ينطق الشهادتين ويدعي أنه مسلم وهو واقع في صور كثيرة من صور الشرك المناقضة لمعنى الإسلام، مثل دعاء غير الله تعالى، والاستعانة والاستغاثة به، والتضرع واللجوء إليه، ومثل كراهية شرع الله تعالى والاستهزاء به، وادعاء أن شرع غيره من المخلوقين أفضل من شريعة الخالق.

هذا بالنسبة للتوحيد، وهو المنارة الأولى من منارات الإسلام ومعالمه.

أما بالنسبة لباقي معالم الإسلام، فلنأخذ مثلاً أعظم هذه الشعائر وأعلاها قدرًا عند الله تعالى وهي الصلاة.

ولنتأمل أحوال الناس إزاء هذه الفريضة العظيمة!

إن نحوًا من ٩٠٪ من المسلمين اليوم في المدن لا يؤدون الصلاة، حيث شغلتهم أمور الحياة ولهوها عن إقامة الصلاة.

والنسبة القليلة الباقية لا يحافظون عليها في الجماعة في المساجد، ومنهم من لا يؤدونها في أوقاتها.

وإذا نظرنا إلى فريضة الزكاة، فإن كثيرًا من أصحاب رءوس الأموال الطائلة لا يفكر في هذا الأمر أصلاً ولا يكاد يخطر له ببال. أما فريضة الحج فإن الأغنياء والقادرين على أدائها كثير منهم لا يقدم على أدائها إلا كما يقدم على نزهة أو رحلة أو سفر لتجارة أو صفقة بحيث يفتقد عملهم النية والاحتساب.

أما بالنسبة لفريضة الصيام فإنها وإن كان نسبة الملتزمين بالإمساك عن الطعام والشراب في نهار رمضان كبيرة نوعًا ما بالنسبة لأداء بقية الفرائض، فإن هناك أمرًا غائبًا وهو أن كثيرًا من هؤلاء الممسكين لا يكادون يعرفون حقيقة الصيام فهم لا يعرفون من الصيام إلا أنه إمساك عن الطعام والشراب في نهار رمضان.

أما حقيقة الصوم باعتباره مدرسة نتعلم فيها تقوى الله تعالى كما قال الله

تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١]. فالحق أن تلك حقيقة غائبة عن كثير من المسلمين. والحق أن مرجع التقصير والتفريط في تلك الفرائض إنما يرجع في الأصل إلى جهل الناس في المقام الأول بحقيقة الإسلام ومعناه العظيم، وهذا ما يجدر بنا أن نوضحه في هذه الرسالة القصيرة.

* معنى الإسلام:

اعلم -رحمك الله تعالى- أن حقيقة الإسلام ومعناه أن تسلم قلبك لله تعالى، فالإسلام هو: الإخلاص والانقياد والاستسلام لله تعالى، يقال: أسلم الشيء أي أخلصه، وأسلم الرجل للرجل أي انقاد له، فالمسلم هو من أخلص العمل لله تعالى وانقاد لشرعه، ولذلك سمّى الله تعالى فعل إبراهيم وإسماعيل-عليهما الصلاة والسلام- إسلامًا لما استسلما لأمر الله تعالى بذبح إبراهيم لإسماعيل فعبر الله تعالى عن هذا الفعل بقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾[٢].

فسمى انقيادهما للأمر وطاعتهما له إسلامًا، فالإسلام هو الاستسلام الظاهر لأوامر الله تعالى ولا يكون مقبولاً عند الله تعالى إلا بالاستسلام الباطن وانقياد القلب وخضوعه وإذعانه لأوامر الله تعالى.

وأدنى حده المتفق عليه هو النطق بالشهادتين واجتناب الشرك في عبادة الله تعالى، وقبول ما جاء به الرسول ﷺ على الجملة وعلى الغيب.

واعلم أن الإسلام قد بني على خمسة أركان كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ فقال: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه

---

(١) البقرة: ١٨٣.

(٢) الصافات: ١٠٣.

سبيلاً"[١]. فهذا هو الإسلام الذي جاء به محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه.

واعلم أن الإسلام الحقيقي يستلزم الإيمان بالله تعالى:

وذلك لأن الأصل الأول وهو شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، لا تقبل من قائلها حتى تكون موافقة لما في القلب من الإيمان الصادق، وإلا كان صاحبها منافقًا عند الله تعالى، وإن كان أمام الناس مسلمًا؛ لأن الله تعالى إنما ينظر لحقيقة ما في القلب.

وذلك كما قال رسول الله ﷺ: "إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أعمالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم"[٢].

فلابد في الشهادة أن تكون مترجمة لما في القلب والضمير، لذا لابد من العلم بمعنى هذه الشهادة، وأنها تقتضي إفراد الله تعالى بجميع العبادات فلا يُدعى أحد غيره، ولا يستغاث بأحد سواه، ولا يطلب النفع، ولا كشف الضر إلا من الله تعالى وحده، ولا يعتقد أن أحدًا وليًّا كان أو نبيًّا يشفع له عند الله تعالى في قضاء حوائجه في الدنيا، وإنما الشفاعة تكون في الآخرة، فلا يجوز أن يلجأ في الدنيا إلى أحد غير الله تعالى ولا أن يتوجه إليه.

وإذا كان الإسلام معناه الاستسلام والانقياد والخضوع والإذعان فلا يصح إسلام العبد حتى يسلم لله في جميع أحكامه وتشريعاته، ويرضى بتلك الأحكام ويخضع لها.

وذلك كما قال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ

---

(١) حديث متفق عليه وأخرجه أيضًا أحمد والترمذي والنسائي، انظر صحيح الجامع للشيخ الألباني (٢٨٤٠).

(٢) أخرجه مسلم في "البر والصلة" / باب: تحريم ظلم المسلم وخذله(٥/ ٤٢٨) ط. الشعب، وأحمد في "مسنده"(٢/ ٢٨٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.

﴿ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[١].

ولابد من القبول والانقياد والتسليم في جميع الأحكام، فلا يصح أن نقبل من الإسلام بعض أحكامه وندع بعضها الآخر، وإلا لحقنا هذا الذم والتوبيخ في قول الله تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ القِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ العَذَابِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[٢].

فالإسلام كل متكامل لا يصح أن يقبل المرء بعضًا ويترك بعضًا، فمن قال: سأفعل كذا من الإسلام وأترك كذا، وهذا أحبه من الدين، وهذا لا أحبه فليسمع قول الحق تبارك وتعالى يحكم بنفسه في قائل ذلك يقول تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا ۞ أُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾[٣].

نعم! من قال أقبل كذا من الإسلام، ولا أقبل كذا، فهو كافر؛ فالدين كل لا يتجزأ.

فلا يصح أن تقول: لا بأس أن أصلي وأصوم، ولكن لا أقبل أبدًا أن أغض البصر أو أن أترك الزنا أو كذا أو كذا..إلخ.

ولا يصح كذلك أن تقول المسلمة: أقبل الصلاة والصيام،ولكن لا أقبل الحجاب ولا أرتديه أبدًا..!

كلاَّ أخي المسلم، أختي المسلمة!

اقبلوا الإسلام كله، وارضوا بأحكامه كلها، فإذا قصرتم في شيء فاعلموا أن الله غفور رحيم فاستغفروه ثم توبوا إليه، ولا توطنوا أنفسكم على المخالفة ولا

---

(١) النساء: ٦٥.

(٢) البقرة: ٨٥.

(٣) النساء: ١٥٠-١٥١

تعزموا عليها، ولا تعلنوا لله تعالى خروجكم على شرعه، ولا كراهيتكم لشيء مما أنزل الله.

علينا أن نقبل أحكام الله تعالى مهما ظننا أنها شاقة على النفس، فالحق أن ذلك خداع من الشيطان وصد منه عن سبيل الله تعالى، فالله لا يكلف نفسًا إلا وسعها.

وقد يبدو الأمر أو النهي شاقًّا، ولكن إذا وطّن المسلم نفسه على الالتزام بشرع الله تعالى فيه ورضي به؛ فإن الله تعالى ييسره عليه فيجد فيه لذته وسعادته، ويجد فيه حياة قلبه، ويذوق بسببه حلاوة الإيمان. ولنتأمل هذه الآيات الكريمة وهي خواتيم سورة البقرة: ﴿لله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ الله فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۞ لا يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[1].

لما نزلت الآية الأولى: ﴿لله مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ الله فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَالله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ شقت على أصحاب النبي ﷺ، فقالوا للنبي ﷺ: يا رسول الله حُملنا من الصلاة والصيام والجهاد ما نطيق، وحملنا اليوم ما لا نطيق، يقصدون هذه الآية لما فيها من حكم شديد، وهو أن الله تعالى يخبر أنه سيحاسبهم على ما في ضمائرهم. فغضب النبي ﷺ لذلك، وقال لهم:" أتقولون كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ ولكن قولوا: سمعنا وأطعنا". فقالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا

(١) البقرة: ٢٨٤-٢٨٦.

وإليك المصير.

فلما أذعنوا لله تعالى في حكمه وانقادوا له كان هذا هو الإسلام الحقيقي الذي تتنزل بسببه رحمة الله فأنزل الله تعالى التخفيف عنهم، فأنزل: ﴿لا يُكَلِّفُ الله نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ فأخبرهم أنه قد خفف عنهم فلن يحاسبهم إلا على ما كسبت أيديهم دون ما كان في نفوسهم وضمائرهم.

وكذلك لما استسلم إبراهيم عليه السلام هو وإسماعيل لأمر الله، وهو أمر عظيم لا يصبر عليه أحد، خفف الله تعالى عن هذين النبيين الكريمين وكافأهما على حسن إسلامهما وانقيادهما لأمر الله تعالى بإبقاء ذكرهما والثناء عليهما إلى يوم الدين، وأنزل من السماء كبشًا عظيمًا فداء لإسماعيل عليه السلام، وتخفيفًا عن أبيه إبراهيم عليهما وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

فهذه هي حقيقة الإسلام: استسلام وانقياد لله تعالى.

ومن معاني الإسلام أيضًا: الإخلاص، يقال: أسلم الشيء وسلّمه أي أخلصه وطهره. وكذلك الإسلام هو إخلاص العمل لله تعالى وتطهيره من شوائب الشرك بغير الله تعالى. قال تعالى: ﴿ضَرَبَ الله مَثَلا رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا الحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[1].

فالله تعالى يضرب مثلاً للعبد الذي تتنازعه الأهواء والشهوات والشياطين فهو مشتت، له آلهة متعددة، فمثله كمثل عبد يعمل عند أسياد شركاء متشاكسين في أخلاقهم، مختلفين في أقوالهم وأفعالهم، فكيف يكون حاله بينهم؟

ثم ضرب مثلاً للمسلم الذي لا يعبد إلا الله تعالى، ولا يستسلم ولا ينقاد

---

(١) الزمر: ٢٩

لأحد سواه، فمثله كمثل عبد يعمل عند سيد واحد، وهو سالم له خالص له.

ثم يسأل رب العزة- جل وعلا - عباده وهو أعلم: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلا﴾؟ فيقول العباد: لا. فيقول سبحانه: ﴿الحَمْدُ لله بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ فيحمد الله تعالى نفسه أنه ما أمر عباده إلا بما يستحسنونه وترضاه نفوسهم وفطرهم وهو التوحيد، وإخلاص العمل والعبادة لإله واحد هو رب العالمين، خالق السموات والأرضين، والمنعم على عباده بسائر النعم والأفضال: ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ الله﴾[١].

إذا علم العبد ذلك، فليعلم أن الإيمان الباطن لا يستقيم إلا بعمل ظاهر، وأعظم أعمال الإسلام على الإطلاق هي الصلاة، من أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين.

قال رسول الله ﷺ: "بين المرء وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"[٢].

وكذلك الصوم والزكاة والحج هي بقية الأركان وبها يستقيم البناء وتثبت دعائمه.

قال رسول الله ﷺ: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان"[٣].

فالنبي ﷺ يشبه الإسلام ببناء يقوم على عمود هو شهادة التوحيد وأربعة

---

(١) النحل: ٥٣.

(٢) أخرجه مسلم في "الإيمان" / باب: بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة(١/ ٢٦٦) ط. الشعب من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في "الإيمان" / باب: قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس(٨). مسلم في "الإيمان"، باب: بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام(١٦) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

أركان، وهذه الأركان الأربعة هي: الصلاة والصيام والزكاة والحج، فمن ترك واحدة منها فقد هدم ركنًا من أركان الدين، فيوشك أن يختل بناؤه، فإذا ترك ركنًا آخر أو ثالثًا أوشك أن يقع البيت ويسقط سريعًا لا محالة، ولا يقوم البيت على عمود واحد دون أركان.

فاحرص أخي المسلم، وأختي المسلمة على أركان الإسلام ومعالمه حتى لا يضعف إسلامك وينهدم فتبقى بعده كالأرض الخراب.

نسأل الله أن يحفظ علينا ديننا، وأن يجنبنا محبطات الأعمال، إنه سبحانه مولى ذلك وهو القادر عليه.